مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٣هـ

سلسلة الرسائل (١٠)

السَّعَادَةُ وَالحُبُورُ بِانْشِرَاحِ الصُّدُورِ

لِلشَّيْخَةِ أُمِّ عَبْدِ اللهِ بِنْتِ الشَّيْخِ

مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الوَادِعِيِّ

حَفِظَهَا اللهُ تَعَالَى

الدعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد.

فمرحبًا بأخواتي في الله وبناتي، مرحبًا بكن جميعًا، أسال الله أن يجعل هذا اللقاء سعادة ومسرَّات، وخيرًا وبركات، تعود علينا في الأولى والأخرى.

أخواتي في الله إننا بحاجة شديدة لانشراح صدورنا، فلا نستطيع أن نعيش حياة طيبة إلا بصدور منشرحة، وخاصة ونحن نساء: زوجات، وأمهات، وفي نفس الوقت ضعيفات، فنحن بحاجة إلى ما يشرح صدورنا؛ لنقوم بواجباتنا، ونؤدي طاعة ربنا، ونقوم بلوازم حياتنا ومسؤولياتنا، براحة وانشراح صدور.

أما التوتر والضيق والقلق فهذا فشل في الحياة، هذا يضعف النفس عن الطريق التي نريد الوصول إليها بسلامة وأمان وهي طريق الآخرة، نسأل الله أن يجعلنا من أهل الآخرة.

فالتوتر لا يتلاءم مع العبادة ومع القيام بالحقوق ومع تربية الأولاد والقيام بالمسئولية، فإن التوتر يجلب القلق والضيق والخصام والصُّراخ ورفع الأصوات؛ وقد جاء في الحديث الثابت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي

وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ»[١] «صَخَبَ» وهي اختلاط الأصوات وارتفاعها. «وَلاَ نَصَبَ» أي: تعب.

فبيوت الجنة من صفاتها أنها بيوت راحة، بيوت سكينة، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ [الغاشية]، وإنما خُصَّت به خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لبيان شرفها وفضلها ومنزلتها.

وإن كثيرًا يهتم بتغذية جسمه وبدنه من مأكل ومشرب ونوم وترفيه على النفس، ويغفل عن تغذية قلبه الذي يكون سببًا لانشراح صدره وراحة جسمه وسعادة حياته، فيبقى في قلق وعناء وضيقٍ وشقاء.

يا خادِمَ الجِسم كمْ تشقى بخِدْمَتِهِ ❁❁❁ لِتطلُبَ الرَّبحَ في ما فيه خُسْرانُ

أقبِلْ على النَّفسِ فاستكمِلْ فضائلَها ❁❁❁ فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ

يقول الله لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح]. الهمزة للتقرير، وإذا كانت للتقرير فإنه يكون المعنى: قد شرحنا لك صدرك. وهذا الشرح بمعنى التوسعة، وهو يشمل: التوسعة الحسية، والمعنوية. أما التوسعة الحسية: فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد شُق صدره وهو يلعب مع الصبيان كما في «صحيح مسلم» (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

أُمِّهِ - يَعْنِي: ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ»، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».

«شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ» وهذا عند أن كان صغيرًا.

«فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ» نؤمن بهذا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شق صدره في صباه، وهذا من عناية الله بنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من صغره، ومن الإرهاصات التي تُعَدُّ مقدمة لمَا يأتي بعدها من النبوة.

وشُقَّ صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرةً أُخرى ليلة الإسراء والمعراج، كما في «الصحيحين».

وأما الشرح المعنوي: وسع الله صدر نبيه للحكم الشرعي والحكم القدري، للحكم الشرعي: بالانقياد والاستسلام لحكم ربه، والحكم القدري: ومنه الصبر على أقدار الله عَزَّوَجَلَّ، ففي أقدار الله أشياء قد لا تلائم النفس من المصائب والآلام والأحزان والمكاره والأمراض، وقد دخل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في «الصحيحين»[1] عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَلْ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**».

فقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ أي: نوسع لك صدرك.

---

(١) البخاري (٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

وربنا سبحانه لما أرسل نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى فرعون الطاغية سأل ربه ست دعوات، وقدَّم انشراح الصدر؛ لأهميته، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ۝٢٨ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢﴾ [طه].

هذه ستة دعوات وبدأ فيها بانشراح الصدر، وهذا يفيدنا أهمية الدعاء بانشراح الصدر ورفْع الضيق عنه، كما دعا هذا النبي الكريم موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل].

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ حياة سعادة وسرور، حياة راحة وطمأنينة وانشراح صدور، لكن بشرط الإيمان والعمل الصالح، فأقبلي على الله؛ ليرزقك الله الحياة الطيبة، ونعمة انشراح الصدر.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه]. الذكر لفظ عام، ليس كما يتبادر إلى الذهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار ونحو ذلك، الذكر هنا: الإسلام.

﴿ضَنكًا﴾ فسر الضنك: بعذاب القبر، وفسر بضيق الصدر، وفسر بتفاسير أخر، والآية تعم ذلك كله فهي أعم مما ذكر.

والمعرضون المفرِّطون في دين الله تغمرهم الحياة الضيقة، وإن رأيتِ ظاهر أجسامهم وأبدانهم على صورة حسنة، فإنهم في وحشة وقلَق وضيق صدر وكآبة؛ لأنهم أعرضوا عن دين الله سبحانه فعُوقبوا بالمعيشة الضنكة.

فتفقدي أختي في الله حالَكِ إذا شعرتِ بضيقٍ في صدرك، فقد يكون هذا بسبب ذنب عندك، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ .

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر].

هذا من أعظم مناقب الإسلام أن من كان على الإسلام فإن الله يقذف في قلبه النور ويرزقه السعادة، ومن كان على كفرٍ وضلال ضيَّق صدره وجعله كأنه في سجن.

فنحمد الله عَزَّوَجَلَّ إذ جعلنا مسلمين، نعمة الإسلام أعظم نعمة، قال سبحانه: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات]. فهذه منة من الله عَزَّوَجَلَّ علينا، نحمد الله إذ جعلنا من أهل الإسلام.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام]. يوسع صدره للإسلام، فلا يرى بدينه بدلًا، نسأل الله أن يتوفانا على الإسلام.

أخواتي في الله نذكر بعض الأسباب التي تعين على انشراح الصدر، إذ لا بُدَّ من طَرْق الأسباب والاستعانة بالله سبحانه:

ترجُو النجاةَ ولم تسلُكْ مسالكَها ❁❁❁ إنّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

ومن هذه الأسباب:

◈ الإسلام من أسباب انشراح الصدر كما تقدم في الآية.

◈ ومن أسباب انشراح الصدر: الإيمان بالقدر خيره وشره، وهذا الركن السادس من أركان الإيمان «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١)، والإيمان بالقدر في أمور قد يكون فيها آلام ومصائب. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج]. وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان]. وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن].

يعني: الذي يستسلم لقضاء الله وقدره: يهدي قلبه للخير، لطاعة الله، لانشراح الصدر إلى غير ذلك. فهذا من أسباب هداية القلوب إلى كل خير، فالأمور تجري بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والحياة الدنيا مليئة بالمصائب والمتاعب، مصائب في النفس، مصائب في الأولاد، مصائب في الأبدان، مصائب في الأموال، أمراض، موت، فراق أحبة إما بالتفرُّق في البلدان أو فراق موت.

فإذا لم نرضَ بقدر الله ولم نصبر على أقدار الله عَزَّوَجَلَّ، وقعْنا في الإثم، وابتُلينا بضيق الصدر، وحُرمنا انشراح الصدر.

---

(١) رواه مسلم (٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دعِ المقاديرَ تجري في أعنَّتِها ❁❁❁ ولا تبيتنَّ إلَّا خـــالي البـــالِ

ما بينَ غمضةِ عيْنٍ وانتباهها ❁❁❁ يقلِّبُ الدَّهْرَ مِن حالٍ إلى حالِ

من كرم اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يغير الحال (الضيق)، إنما هي ابتلاءات من الله عَزَّوَجَلَّ لينظر من يصبر، ومن يشكر، ومن يكفر، ثم يفرج الله، فالعسر لا يدوم، ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح].

إذن أخواتي في الله الإيمان بالقدر راحة نفسية، نشكو إلى الله من ضعف إيماننا؛ لأننا ما فوضنا أمورنا إلى الله كما أراد منا سبحانه، وكأننا نريد الأمور تجري كما نريد، الله سبحانه هو الذي يسيِّرها، وهو أرحم بالعباد من أمهاتهم بل أرحم بهم من أنفسهم، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [يونس: ٢٢].

وقد مرَّ معنا في درسٍ لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثرٌ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: «لَمْ نُوكَلْ فِي الْقُرْآنِ إِلَى الْقَدَرِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّا إِلَيْهِ نَصِيرُ»(١).

علق والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا الأثر، وقال: فيه التربيةُ على الاستسلام والرَّاحة النَّفسية، فأنت تُنظِّم وقتَك ويأتي القدرُ ويصرفُك، وتقول غدًا سأفعل كذا وتُصرف عنه، لأنه لم يقدَّر لك.

فيكون عندنا قرار جازم أننا سنفعل في الغد كذا وفي ساعة كذا، وسبحان الله! يأتي القدر ويصرفنا عنه، ولو قلنا: قدر الله ما شاء فعل، لكان راحة لنا، راحة نفسية.

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في «السنة (٨٩٩)»، وأخرجه الفريابي في «القدر (٣٠٨)» بلفظ: «لَمْ يُوكلُوا إِلَى القدر، وإليه يصيرون». والأثر في «الجامع الصحيح في القدر» لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد ذكر والدي في «الجامع الصحيح في القدر» من ثمرات الإيمان بالقدر: الطمأنينة وتخفيف الهموم والأحزان.

وهكذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يربينا ويربى الطلاب على الإيمان بالقدر، ومن كلامه: الأمورُ يسَيِّرُهَا ربُّ العالمين. ويقول: التَّيسيرُ بيدِ الله.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكثرُ الانتحارُ من الذين لا يؤمنونَ بالقدر، ومن أصحابِ الأعصاب.

ويقول في مرضه الأخير وهو في حالة شديدة: آمنت بالقدر.

إننا لنتعجب من ثبات أهل العلم، في حالة شديدة وفي مرض شديد وأحدهم يسترجع ويرد أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ثبات من الله لأهل العلم.

عروة بن الزبير الصابر المحتسب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابتلي بمرض فصبر، روى ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»(١٣٩): عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئًا فَظَهَرَتْ بِهِ قَرْحَةٌ وَكَانُوا عَلَى رَوَاحِلَ فَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ مَحْمَلًا فَأَبَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ غَلَبُوهُ فَرَحَلُوا نَاقَةً لَهُ بِمَحْمَلٍ فَرَكِبَهَا وَلَمْ يَرْكَبْ مَحْمَلًا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَحَامِلِ بِنِعْمَةٍ لَا يُؤَدُّونَ شُكْرَهَا، وَتَرَقَّى فِي رِجْلِهِ الْوَجَعُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ فَلَمَّا رَآهُ الْوَلِيدُ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْطَعْهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَالَغَ فَوْقَ ذَلِكَ (١)، قَالَ: فَدُونَكَ قَالَ: فَدَعَا لَهُ الطَّبِيبَ فَقَالَ لَهُ: اشْرَبِ الْمُرْقِدَ قَالَ لَا أَشْرَبُ مُرْقِدًا أَبَدًا، قَالَ: فَعَذَرَهَا

(١) لأنه إذا لم تقطع يستسري المرض في الجسم.

الطَّبِيبُ وَاحْتَاطَ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّحْمِ الْحَيِّ مَخَافَةَ أَنْ يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ ضُرَّ فَيَرْقَى، فَأَخَذَ مِنْشَارًا فَأَمَسَّهُ بِالنَّارِ وَاتَّكَأَ لَهُ عُرْوَةُ، فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ السَّاقِ، فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ يَقُولَ: حَسْ حَسْ (١).

فَقَالَ الْوَلِيدُ: مَا رَأَيْتُ شَيْخًا قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا.

وَأُصِيبَ عُرْوَةُ بِابْنٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ، وَدَخَلَ اصْطَبْلَ دَوَابٍّ مِنَ اللَّيْلِ لِيَبُولَ فَرَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ فَقَتَلَتْهُ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ حَتَّى رَجَعَ، فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى قَالَ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢]. اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وأَبْقَيْتَ سِتَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنِّي طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثًا، وَايْمُكَ لَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ. الأثر (٢).

و سبحان الله! نأخذ عبرة وفائدة من قول عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وأَبْقَيْتَ سِتَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنِّي طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثًا وَايْمُكَ لَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ) أنه من الخطأ النظر إلى النقص، ولا يُنظر إلى نعم الله الكثيرة.

فعروة بن الزبير ابتلى ابتلاءات شديدة: قطعت رجله، ومات ولده فجأةً بسبب ركض البغلة له، ومع ذلك يقول هذه الكلمات.

فالنظر إلى النقص، إلى المصائب هذا يؤدي إلى عدم الاعتراف بالنعم وإلى كفران النعم. فلا يكون عندنا تركيز على النقص فقط، هذا خطأ، ومن أسباب زوال النعم، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ

(١) الْعرب تَقول عِنْد لذعة نَار أَو وجع حاد: حَسِّ حَسِّ. «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٦١) للأزهري.

(٢) وكذلك رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٨) مختصرًا، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٠٥) مطولًا.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]. فهذه نقطة ننتبه لها: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أخواتي في الله عرفنا أن الإيمان بالقدر راحة نفسية؛ ولهذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» رواه مسلم (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فهذا تربية لنا على الإيمان بالقدر، والحياة قصيرة، فلا نزيد قصَرها بالهموم والغموم والكرب والكآبة.

ومن أسباب انشراح الصدر: العلم النافع، قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد].

حتى إن ابن القيم يقول في «زاد المعاد»(٢/ ٢٣) عن توسيع العلم للصدر: وَيُوَسِّعُهُ حَتَّى يَكُونَ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا، وَالْجَهْلُ يُورِثُهُ الضِّيقَ وَالْحَصْرَ وَالْحَبْسَ. اهـ.

فالعلم طمأنينة، العلم سعادة وراحة نفسية، العلم له حلاوة، من وجد حلاوته فإنه لا يمكن أن يشغله شيء عنه، ولا يصرفه صارف.

فاجتهدن في تحصيل العلم أخواتي في الله وبناتي، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من أراد الله به خيرًا علَّمه وفقَّهه في دينه، لم يقلِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أعطاه الكنوز -كنوز الذهب والفضة-، ولم يقل: أعطاه القصور، أعطاه الأولاد وأعطاه كذا، ولكن قال: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ**

بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ترغيب وتشجيع للنفوس على طلب العلم والتفقه في دين الله، فما أعظم راحة العلم النافع! ولهذا يقول بعض العلماء وعزي إلى الحسن البصري: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا بالسيوف.

(ما نحن عليه) من النعيم، نعيم القلب-وهو الأصل، وليس نعيم البدن-، ومن السرور، ومن الراحة النفسية. وسبحان الله! لا ينال هذه النعمة الأثرياء، ولا الوزراء، ولا الرؤساء، ولا الملوك. لا ينال هذه النعمة ولا يجد هذه الحلاوة والطمأنينة إلَّا من يقرأ ويتعلم القرآن ومن يطلب العلم ويتفقه في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا من كلام والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا فتحتُ صحيح البخاري أو صحيح مسلم، فقلت: حدثنا فلان، عن شعبة أنسى جميع مشاكلي. اهـ.

لَهَا أَحَـــادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا ❁❁❁ عَنِ الشَّرَابِ وَتُلْهِيهَا عَنِ الزَّادِ
لَهَا بِوَجْهِكَ نُـــورٌ تَسْتَضِـــيءُ بِهِ ❁❁❁ وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي
إِذَا شَكَتْ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْعَدَهَا ❁❁❁ رُوحُ الْقُدُومِ فَتَحْيَا عِنْدَ مِيعَادِ

ومشاكل والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرة؛ لأنه مجاهد للشيطان، ومجاهد لأهل السوء والباطل، من شركيات وخرافات وحزبيات، ومجاهد في النفاح عن السنة والذَّبِّ عنها.

وهذا من فضائل العلم النافع، وانظري إذا كنت في مجلس علم أو في حلقة علمية ربما تنسي مرضك، قد تأتين وعندك حمى أو زكام أو مرض آخر في جسمك، وما إن تنتهي الحلقة إلا وانتهى المرض من جسمك، بركة من الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تحضرين حلقة العلم وعندك توتُّرٌ نفسي، مشاكل، ضغوطات، وتسمعين: قال الله، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم ينقشع عنك كل ما تعانيه، فالعلم النافع من أعظم أسباب انشراح الصدر. فأوصي نفسي وإياكن بالعلم النافع؛ لنتبصَّر ونعبد الله على بصيرة، ونستعدَّ للآخرة، والعلم النافع من أعظم الاستعداد للآخرة.

والمراد بالعلم: العلم النافع، علم الكتاب والسنة لا علم الطب، ولا الهندسة، ولا ما يسمى بالجيولوجيا وهي كلمة يونانية، علم يبْحَث فِي الأَرْض طبقاتها وتكونها وتطورها [١].

واعلمي أنه لا يعني الكلام في انشراح الصدر أن نتمتع بالحياة الدنيوية، ولكن نريد من وراء ذلك أن نستعين بانشراح صدورنا على طاعة الله، على لقاء الله، والاستعداد لدار القرار، على القيام بواجباتنا.

وما هذه الحياة الدنيا إلا دار سفر لا مقر، دار فناء وليست دار استقرار، فما نركن إليها بحال من الأحوال، وهي كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفها في «زاد المعاد» (٤/ ١٧٤): الدُّنْيَا أَحْلَامُ نَوْمٍ، أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ، إِنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا، وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا سَاءَتْ دَهْرًا وَإِنْ مَتَّعَتْ قَلِيلًا منعت طويلًا. اهـ المراد.

ما أسرع ما يذهب السرور!

وتأمَّلي مثالًا لذلك: من رزقه الله الولد يسعد به ويفرح، ثم تأتي متاعب كثيرة من وراء هذه النعمة، إن مرض حزنتِ، إن سافر قلقتِ، إن أُصيب في دينه أو دنياه تعبتِ.

وقد يكون عاقًّا من الأشقياء، فيجلب عليك الأحزان والبكاء، ربما لا تذوقين النوم إلا متقطِّعًا بسبب العناء.

وهكذا سائر الأمور على هذا المنوال سرعان ما يذهب سرورها، وتتوارد أحزانها، حتى إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في «الفوائد»(٤٦): آلامها مُتَوَلّدَة من لذاتها، وأحزانها من أفراحها.

---

(١) «المعجم الوسيط».

من أسباب انشراح الصدر: تدبر القرآن الكريم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

فلا بد أن تقرئي بتدبر؛ لتستفيدي من علوم القرآن وكنوزه، فإن هذا يُنال بالقراءة في كتب التفسير وبالتدبُّر:

فتدبر القرآن إن رمتَ الهدى .. فالعلم تحت تدبُّر القرآن

ولتجدي انشراح الصدر، القرآن شفاء، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]. شفاء لقلوبنا وأبداننا، وقد يقرأ القارئ ولا يجد انشراح الصدر؛ لأنه يقرأ ولا يتدبر، ماذا تفيد هذه الآية من الأوامر؟ وماذا تفيد من الترغيب؟ وماذا فيها من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيدِه وأسمائه وصفاتِه وقُدرتِه ومراقبَتِه؟ وماذا فيها من الحقوق والآداب؟ وهكذا... ، خذي أخلاقَكِ، آدابَك، دينك، عبادتك، من كتاب ربك وسنة نبيك محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فتدبري القرآن، حتى إن ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ يقول في «مفتاح دار السعادة» (١/١٨٧): فَلَا شَيْء أَنْفَعُ للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر، فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم(١). اهـ المراد.

---

(١) نص كلام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (١/١٨٧): فَلَا شَيْء أَنْفَعُ للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر، فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة، والشوق، وَالْخَوْف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، وَالرِّضَا، والتفويض، وَالشُّكْر، وَالصَّبْر، وَسَائِر الأحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله، وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والأفعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه.

فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا، فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة، فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إِلَى حُصُول الإيمان، وذوق حلاوة الْقُرْآن... ، فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب... الخ.

فاحرصن أيها الأخوات وأيها الشابات على تدبر القرآن، فالله عزوجل أنزل القرآن لتدبره والعمل به، قال الله سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام].

◈ من أسباب انشراح الصدر: إقام الصلاة؛ امتثالًا لقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج].

ومع ذلك قد يصلي من يصلي ولا يجد انشراح الصدر، ولا يجد حلاوة الصلاة ولذتها؛ لأنه صلى وقلبه مشغول، وذهنه شارد، فما يجد ثمرة الصلاة: من حلاوة، وانشراح الصدر.

النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» رواه البخاري (٦٣١) عن مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ. فمن اقتدى بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في صلاتِهِ وجدَ انشراح الصدر، وكانت ناهية له عن الفحشاء والمنكر.

وقد كان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول لبلال: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»(١). ويقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» رواه النسائي (٣٩٣٩) عَنْ أَنَسٍ، وهو في «الصحيح المسند» (١٠٠) لوالدي رَحِمَهُٱللَّهُ.

فالصلاة من أسباب انشراح الصدر، ولكنه قد يتخلف عن بعض المصلين؛ لأنه يصلي بغير خشوع، ولا مجاهدَة نفس، ولا مدافعة وسواس، ولا يؤديها على الوجه التام كما أمره الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥) عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا».

فينتهي من الصلاة ولا يجد لذة الصلاة وحلاوتها، يقول الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: «رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكْعَتَهُ، فَاعْتِدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالِانْصِرَافِ، قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ» رواه البخاري (٧٩٢)، ومسلم (٤٧١) واللفظ له. «رَمَقْتُ» أي: أطلت النظر في صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ» ومعنى هذا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا لم يطل القيام كانت الأركان متقاربة مع القيام، فإذا نظرنا إلى صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولجأنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتضرعنا إلى الله، وأقبلنا على الدعاء والاستغفار، وجاهدنا أنفسَنا، شعرنَا بِعِظَمِ هذه العبادة وأنها مناجاة لله كما في «صحيح البخاري» (٤٠٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ**» ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ، فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا». نسأل الله أن يعيننا على إقام الصلاة.

ومن أسباب انشراح الصدر: قيام الليل، وهذا من شعار الصالحين ودأب المتقين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

وفي «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ**

(١) البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ». والقافية: مؤخرة الرأس.

انظرن بارك الله فيكن «**أَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ**»، فهذا من أسباب السرور وانشراح الصدور.

وعلينا أن نعلم كيف كان قيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليل؛ لكي نسدد ونقارب، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطيل القيام، ويقرأ بترتيل وتدبُّر، ونقتصر في ذلك على حديثٍ واحد:

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ**». رواه مسلم (٧٧٢).

وفيه أن من سنن صلاة الليل: أنه إذا قرأ القرآن ومر بآية تسبيح، يقول: سبحان الله، تنزيهٌ لله عَزَّوَجَلَّ. إذا مر بترغيب وذكر الفضائل سأل الله من فضله، إذا مر بذكر الجنة، يقول: اللّٰهم إني أسالك الجنة، إذا مر بآية فيها وعيد وعذاب وذكر النار، قال: اللّٰهم إني أعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.. وهكذا، وهذا يعين على طرد الكسل وتدبر القرآن وإحضار الذهن.

سبحان الله! ينتهي من قيام الليل ويجد راحة وانشراح صدر، يشعر بأن قلبَه قد امتلأ سرورًا وفرحًا، وكأنه في جنة، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة(١). نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهل الجنة.

◈ من أسباب انشراح الصدر: المداومة على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة]. فلنحرص على الإكثار من ذكر الله، ولا تفتر ألسنتنا عن ذكر الله، فالذكر ميسَّر، ممكن في أثناء عملك وطبخِكِ وتدبير شؤون منزلك تذكرين الله عَزَّوَجَلَّ، وتنتهين من عملك بقوة بدنٍ وإيمان، وراحة نفسية، ونفور عن الدنيا واندفاع للآخرة، بخلاف إذا كنت أثناء عملك في تفكيرات وفي وساوس وتلاعب الشيطان، تتعب نفسيتك، وأمورك بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فأقبلي على الله سبحانه، أكثري من ذكر الله؛ لتفلحي وتكوني من أهل الراحة والسعادة.

◈ ومن أسباب انشراح الصدر: الصدقة، فالصدقة شأنها عظيم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» (٢/٢٣): إِنَّ لِلصَّدَقَةِ وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي شَرْحِ الصَّدْرِ.

وأنصح أختي في الله أن تحرص أن تكون الصدقة لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تريد من هذا الصدقة رفع الكرب والضيق، والله ويؤتي من واسع فضله، ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾ [الإنسان].

---

(١) نقله عنه تلميذه ابن القيم في «الوابل الصيب» (٤٨).

إذا كنت في كربة أو ضيق تصدقي لوجه الله، والله عَزَّوَجَلَّ يتولَّى أمرك وأبشري بالخير والسعادة وبالأجور الكثيرة [١]. فالصدقة شأنها عظيم في انشراح الصدر وتوسعته وتيسير الأمور، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ].

---

(١) وكان لديَّ بحثٌ مختصرٌ في المسألة نذكره هنا؛ تتميمًا للفائدة:

ورد حديثٌ في الحث على الصدقة من أجل الشفاء: «دَاوُوا مَرضاكُمْ بِالصَّدقةِ» رواه البيهقي في «الكبرى»(٣/٥٣٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث منكر. فيه مُوسَى بْنُ عُمَيْرٍ القرشي.

قال أبو حاتم: ذاهب الحديث كذاب.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات.

وقد أعلَّ الحديث البيهقي بقوله: إِنَّمَا يُعْرَفُ هَذَا الْمَتْنُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا. اهـ.

ومراسيل الحسن البصري من أضعف المراسيل.

وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية»(٨١٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ لا يَصِحُّ تَفَرَّدَ بِهِ مُوسَى بْنُ عُمَيْرٍ، وَإِنَّمَا رُوِيَ هَذَا مرسلًا.

وذكر الحديث الذهبي في «ميزان الاعتدال»(٤/٢١٥) في ترجمة موسى إشارة إلى أنه من مناكيره.

وفي«سير أعلام النبلاء»(٤/٥١) جزم الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه مِنْ مَنَاكِيْرِ مُوْسَى بنِ عُمَيْرٍ.

وذكر الحديث الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»(٣٤٩٢)، وقال: ضعيف جدًّا.

وللحديث طرق أخرى غير صحيحة، ومع نكارة هذا الحديث فالصدقة عند أهل العلم علاجٌ في رفع البلاء ودفعه، ولكن لا يكن الإنسان عنده إرادة حظ الدنيا والعافية دون إرادة الأجر في الآخرة، لأنه بهذه النية يدخل في إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ومثل هذا قد يُجهل، يستغفر ولا يريد إلا أجر الدنيا والثمرة العاجلة في الدنيا ولا ينوي الأجر في الآخرة، يذكر الله وهو يريد منافع دنيوية بحتة، يتصدق لدفع البلاء والكربة، يريد منافع دنيوية ولا يكون عنده نية الآخرة، هذا يدخل في قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

وأما إذا أراد بالصدقة الحُسنيين: التقرب إلى الله ورفع الضر فهذا لا حرج فيه؛ للأدلة التي فيها الترغيب والتشجيع بأمور دنيوية عاجلة.

وفي «فتاوى اللجنة الدائمة»(٢٤/٤٤٢) برئاسة الشيخ ابن باز: الحديث المذكور-أي: حديث «داووا مرضاكم بالصدقة»-غير صحيح، ولكن لا حرج في الصدقة عن المريض تقربًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ورجاء أن يشفيه الله بذلك؛ لعموم الأدلة الدالة على فضل الصدقة، وأنها تطفئ الخطيئة وتدفع ميتة السوء. اهـ.

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**» رواه الإمام أحمد (٢٨/٥٦٨)، وهو في «الصحيح المسند» (٩٢٨) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا الحديث يفيد: أن الصدقة من أسباب الاستظلال يوم القيامة، الناس في حر شديد وكرب، قد دنت الشمسُ من رؤوسهم، والمتصدق في ظل صدقته، ترغيب عظيم، سبحان الله!

وقد تقول قائلة: لا يوجد عندي ما أتصدق به، نرجو هنا أن الله يأجرك على حسن نيتك، وأيضًا تأملي وتفكري في قصة الصحابيات؛ لأن المرأة قد تقول هذا ويوجد شيء، قد تكون مدخرة له، وتقول: لا يوجد شيء.

روى مسلم (٨٨٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ، وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: «**تَصَدَّقْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ، فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»، قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ».

مباشرة من غير تردد، وهذا من أعزِّ ما يكون عند المرأة لا يمكن أن تعطيه أو تتساهل في إعطائه، لكن هؤلاء الصحابيات مسابقات إلى الجنة، يَأخذنَ حليهن من آذانهن ومن أيديهن ويخرجنها صدقة للمحتاجين، إيثار للآخرة على الدنيا.

فالصدقة شأنها عظيم؛ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وهناك قصة ذكرها الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ٤٩٢)، وقال: قصَّة عَجِيبَة ونكتة غَرِيبَة فِي بلد شامي الحرجة تسمى الْحمرَة، وَذَلِكَ أَنه كَانَ فِيهَا رجل من الزرعة وَكَانَ ذا دِين وَصدقَة، فاتفق أَنه بنى مَسْجِدا يصلي فِيهِ، وَجعل يأتي ذَلِك الْمَسْجِد كل لَيْلَة بالسراج وبعشائه، فإن وجد فِي الْمَسْجِد من يتَصَدَّق عَلَيْهِ أعطَاهُ ذَلِك الْعشَاء، وإلا أكله وَصلى صلَاته وَاسْتمرّ على ذَلِك الْحَال، ثمَّ إنها اتفقت شدَّة ونضب مَاء الْآبَار وَكَانَت لَهُ بير، فَلَمَّا قلَّ مَاؤُهَا أَخذ يحتفرها هُوَ وَأَوْلَاده، فخربت تِلْكَ البير وَالرجل فِي أَسْفَلهَا خرابًا عَظِيما، حَتَّى إنه سقط مَا حولهَا من الأرض إليها، فأيس مِنْهُ أَوْلَاده وَلم يحفروا لَهُ وَقَالُوا: قد صَار هَذَا قَبره وَكَانَ ذَلِك الرجل عِنْد خراب الْبِئْر فِي كَهْف فِيهَا، فَوَقَعت إلى بَابه خَشَبَة مَنعت الْحِجَارَة من أَن تصيبه، فأقام فِي ظلمَة عَظِيمَة، ثمَّ إنه بعد ذَلِك جَاءَهُ السراج الذي كَانَ يحملهُ إلى الْمَسْجِد، وَذَلِكَ الطَّعَام الذي كَانَ يحملهُ كل لَيْلَة، وَكَانَ بِهِ يفرِّق مَا بَين اللَّيْل وَالنَّهَار، وَاسْتمرّ لَهُ ذَلِك مُدَّة سِتّ سِنِين، وَالرجل مُقيم فِي ذَلِك الْمَكَان على تِلْكَ الْحَال، ثمَّ إنه بدا لأولاده أَن يحفروا الْبِئْر؛ لإعادة عمارتها، فحفروها حَتَّى انْتَهوا إلى أَسْفَلهَا، فوجدوا أباهم حَيا، فَسَأَلُوهُ عَن حَاله، فَقَالَ لَهُم: ذَلِك السراج وَالطَّعَام الذي كنت أحمل إلى الْمَسْجِد يأتيني على مَا كنت أحملهُ تِلْكَ الْمدَّة، فعجبوا من ذَلِك، فَصَارَت قَضِيَّة موعظة يتوعظ بهَا النَّاس فِي أسواق تِلْكَ الْبِلَاد. اهـ.

فالصدقة ليس شأنها بالهين حتى ولو كسرة خبز، أو تمرة، ولو ببعض الريالات، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» (١). فضل الله واسع.

---

(١) روى البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦) عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو العَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ: فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ، حَتَّى تَخْرُجَ العِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا العَيْلَةُ: فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ، حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ

ومن أسباب انشراح الصدر بارك الله فيكن: ترك فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول الاستماع، وفضول الطعام، وفضول النوم.

فضول الكلام: حث على التقليل من الكلام، وأن الإنسان لا يتدخل فيما لا يعنيه، ويقبل على آخرته، لا غيبة، ولا نفاق، ولا نميمة، يربط لسانه، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]. هذا شأنه عظيم أن تكون المرأة قليلة الكلام، وما أحوجنا إلى هذا؛ لكي نشغل أوقاتنا بالعبادة، بالعلم النافع، وإذا لم نشغل هذا اللسان بالخير ونربطه ونحبسه بين الفكَّين يضرُّنا، قد ينطق بكلمة خطيرة توبِقُ حياتنا، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**». نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلح ألسنتنا.

العزلة طيبة تعين على الخير وعلى ضبطِ اللسان، اعتزال مجالس القيل والقال، والغيبة، ما نخالط إلا في خير.

وفضول النظر: نظر الرجال إلى النساء ونظر النساء إلى الرجال، وفي أزمنتنا هذه حتى في البيوت-إذا لم نتقي الله عَزَّوَجَلَّ-النظر متيسِّر على هذه الأجهزة الحديثة، فيكون الإنسان في آثام ومخاطر، وهو في بيته وعلى فراشه، فعلينا أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا، ولا نقول: هذا عالم، هذا شيخ، أنا آمن على نفسي، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

وجاء مختصرًا روى البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»(١).

فعلينا أن نحفظ أبصارنا عن النظر إلى الرجال، وأن نصونها عن الفتن.

ويدخل في فضول النظر: النظر هنا وهناك عند الخروج يمينًا ويسارًا، وهكذا في بيوت الجيران والصاحبات. فمن الآداب غض البصر إلا في حالة أن أختك في الله أو صاحبتك الأمر عندها عادي ليس فيه شيء، هذا لا مانع منه النظر إلى سقف البيت أو إلى بعض نواحي البيت.

والدليل قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما اعتزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نساءه، الحديث وفيه: أن عمر دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مشربة-أي: غرفة-فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: «**لا**»، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: لا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُرِيدُ عَائِشَةَ-، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ-جلود-ثَلاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «**أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. الحديث. رواه البخاري(٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩) عن عمر بن الخطاب.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) عَنْ صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ورواه مسلم (٢١٧٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عرفنا أنَّ من فضول النظر: النظر هنا وهناكَ، وإطلاق النظر في بيوت الناس، والنظر في الغرفة من طرفها إلى طرفها، رُبَّما أهل البيت ما انتبهوا لذلك الشيء، فالمجالس لها آدابها، والزيارات لها أحكامها.

والشاهد من هذه الفقرة: أن فضول النظر قلق وانزعاج نفسي:

وكُنتَ إذا أرسَلتَ طرفَكَ رَائِدًا ❁❁❁ لِقَلبِكَ يــومًا أتعَبَتــكَ المنَاظِرُ

رأيتَ الَّذِي لاَ كُــلُّهُ أنتَ قادِرٌ ❁❁❁ عَليهِ وَلا عَن بَعضِه أنتَ صابر

وفضول الاستماع الإنسان يحرص أن يستمع ما ينفعه ويجتنب الأشياء التي لا فائدة فيها.

وفضول النوم: النوم الزائد مضيعة للوقت. وفضول الطعام مضرَّة وخسارة.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيننا على أنفسنا، وأن يشرح صدورنا. والحمد لله رب العالمين.

تم إلقاء هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

ليلة السبت الموافق ٣/ من شهر ربيع الأول/ لعام ١٤٤٣ للهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

تم بحمد الله